مشهد ناقص

مشهد ناقص

رامي جالس متجمدا على الكنباية يسند ذقنه بيده وينظر إلى التلفزيون، يلبس قميصا وبنطلونا مكويين على طريقة الكبار، إنه بوضعية المستعد للخروج في أية لحظة. وسيم يلبس بيجامة رياضية جالس على السجادة يلاعب عبير التي لا تكف عن طلب اللعب واللهو، ولكنه ينظر بين الحين والحين بقلق إلى رامي. فوزي جالس على الكنباية البعيدة، يلبس بيجامة منزلية، على وجهه شاربان مرتخيان، أمامه على الطربيزة فنجان كبير من القهوة، وصحن بيتي فور، ينظر بحدقات متوترة إلى الأولاد. ناديا تتحمَّم منذ أكثر من ساعة، الجميع يسمعون التدفق الكبير للمياه على أرض الحمام. يظن المرء أنها أفرغت خلال هذه الساعة ما يعادل صهريجا مليئا بالماء.

يتوقف تدفق الماء، يرمق رامي فوزي بسرعة، يقلب وسيم نظراته بين فوزي ورامي، وعبير لا تتوقف عن طلب اللعب واللهو. تخرج ناديا من الحمام مرتدية البرنس، تتكلم مع فوزي:

- جيب لي الكيلوت عن الحبل.

يقف فوزي قبل أن ينهي رشفة القهوة، يضعه على الطربيزة فتنسكب عدة نقاط، يهرول إلى الشرفة ثم يعود حاملا الكيلوت، يتفاجأ بنظرات ولديه، فيخفي الكيلوت مباشرة، ويهرب من نظراتهما إلى أوضة النوم، يفتح الباب يجد ناديا جالسة عارية أمام المرآة، يمد لها الكيلوت فتأخذه:

- بتريدي شي غيرو؟

تنظر إلى الكيلوت:

- يا حمار! جايبو بلا كوي؟!

ترمي الكيلوت فيغطي وجهه ورأسه، يتناول الكيلوت يخبئه في كفه:

- حاضر! متل ما بتؤمري!

يخرج من أوضة النوم يغلق الباب، يمشي بخفة إلى المطبخ. ينفخ رامي ويتقدم بوركه إلى مقدمة الكنباية ويضع يديه فوق ركبتيه، يصير وجهه في غاية الجدية، إنه مستعد الآن للخروج أكثر من الأول، يحاول وسيم أن يقف فتشده عبير، تعيده إلى الجلوس وهو ينظر إلى رامي بقلق. يخرج فوزي من المطبخ ويمر بسرعة إلى أوضة النوم، يناول ناديا الكيلوت ثم يعود إلى مكانه يرى نقاط القهوة على الطربيزة فيروح إلى المطبخ ويعود بخرقة يجلس في مكانه وهو يمسح نقاط القهوة، ثم يشرب القهوة ويأكل حبة بيتي فور فلا يقدر أن يبلعها وهو ينظر خلسة إلى الأولاد بين الحين والحين.

يرن جرس الباب، يقف فوزي قبل أن يقرر الوقوف، يتردد ويحتار بين التقدم صوب الباب والجلوس، عبير تشد وسيم من قبة قميصه ولا تتوقف عن طلب اللعب منه وهو ينظر إلى رامي الذي ينظر نظرة جامدة إلى فوزي، جعلته يرتبك وجعلت ركبتاه ترتجفان.

يرن جرس الباب عدة مرات، أخيرا يروح فوزي إلى الباب وقدماه ترتجفان، تتجمد يده فوق مقبض الباب فتتجمد فوقه ، يعيدها وكأنه يخبئها أمام صدره ثم تنزل يده إلى ما فوق المقبض لتتجمد من جديد. يرن جرس الباب من دون توقف، تنزل يده على المقبض من دون تفكير ويفتح الباب.

يدخل أبو رياض مباشرة، على وجهه غضب، يقول بقسوة وكأنه يخاطب طفلا أخطأ:

- شو باك ما عم تفتح؟
- أهلين! أهلين!... أهلين أبو رياض
- وين ناديا؟!
- جوا، جوا عم بتلبس أواعيها
- وين؟
- جوا بأوضة النوم
يبعده أبو رياض بساعده جانبا
- بعد هيك!
- تفضل تفضل أبو رياض إنت أخ... إنت أخ

يدخل أبو رياض مباشرة إلى أوضة النوم، من دون أن يسمعه، يلحق به مثل الأبله، يفتح أبو رياض باب أوضة النوم ويدخل، ناديا مرتدية الشلحة السوداء وتتمكيج أمام المرآة وعندما ترى أبو رياض تضحك له وتقول:

- أهلين أبو رياض
- ولك وينك! تأخرتي

يقترب منها ويبعصها في طيزها فتتأوه وتضحك بغنج، بينما فوزي ينظر إليهما مثل الأبله، يبوسها من رقبتها فتضحك ضحكة ممطوطة وتبتعد عنه صوب التخت، يكمشها من خصرها ويشدها إلى وسطه فتتأوه

- أوه! تركني!

ثم يرتميان على التخت وتحاول أن تفلت منه فلا تستطيع، ترى فوزي واقفا عند الباب ينظر إليهما، فتغضب وتصرخ به:

- شو عم بتساوي هون يا حمار طلاع لبرة وسكر الباب، يئطع عمرك

يتلفت فوزي ثم يكمش قبضة الباب:

- حاضر حاضر

يغلق الباب ويروح إلى مكانه ويجلس وكأنه يختبئ من نظرات رامي ووسيم وعبير التي كفت عن طلب اللعب؛ ينظرون نظرات جامدة وملحة.

تتعالى أصوات ضحكات ناديا وأبو رياض، تصير ضحكاتها أكثر حدة، ثم تتأوه وتصرخ، يلهث ويخرج أصوات كالثور.

يهرب فوزي بنظراته من الأولاد يتلفت حائرا وتضيع حدقتاه في بياض عينيه في حركة عشوائية متواصلة.

تتعالى الأصوات القادمة من أوضة النوم، تتأوه ناديا وتصرخ، يلهث أبو رياض ويجعر، تصرخ، تتأوه، يجعر، يصرخان صرخة عالية، ثم يسكنان.

يسود صمت ثقيل، تستقر حدقتا فوزي على حذائه، عبير ووسيم ينظران بجمود إلى رامي الذي أصبح مستعدا للخروج أكثر من أي وقت مضى.